قشعم في التاريخ

Les Qash'am dans l'histoire.

يقول الاعراب «جشعم» بجيم كجعفر ، وفي مختصر مطالع السعود (ص٢٧) عن القاموس ان قشعم لقب ربيعة بن نزار. وفي هذا المختصر « ان المشهور بين العرب انهم (آل قشعم) من بني ماء السماء يعني من قحطان » اه

ويقال ابن قشعم لكل فرد من هذه الحمولة ولاسيما للشيخ منهم اذا ارادت الاعراب تعظيمه او حكت عن ايام مجد بيتهم . فابن قشعم علم لكل منهم كما يقال ابن سعود وابن رشيد وابن هذال وابن سويط في مثل هذه الحال . وآل سويط هم شيوخ الضفير منذ ثلاثة قرون على اقل تقدير وكان شيخهم في سنة ١٠٨٠هـ (١٦٦٩م) وسنة ١٠٩٦هـ (١٦٨٤م) سلامة بن مرشد بن صويت (كذا) جاء ذلك في كتاب سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي لعبدالملك بن حسين العصامي المتوفى سنة ١١١١هـ (١٦٩٩م) وهذا الكتاب لا يزال مخطوطا رأيت نسخة من مجلد منه يبتدىء بالمقصد الرابع وهي للكتبي نعمان الاعظمي في بغداد وكان قد جاد علي بها للمطالعة . وذكر تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان (٣:٣١٢) نسخة من هذا المخطوط في الخزانة الخديوية ومنه نسخ منها تامة ومنها ناقصة في خزانة المتحفة البريطانية والخزانة الاهلية في باريس وخزانة اليسوعيين في بيروت وخزانة الكتبي بريل في ليدن .

نعود الى صدوننا . واذا قالت المنتفق العراك (بكاف فارسية) يعني تريد شط الفرات الواقع بين منحدر الحلة من جهة الشمال ومنحدر السماوة من جهة الجنوب وفي ذلك لواء الديوانية كله إلم يكن موضوع البحث خاصا بالعراق برمته فتكون المنتفق قد تمسكت بمفرد كلمة العراقين اللذين قال عنهما معجم البلدان « ...والعراقان الكوفة والبصرة... » فما احفظ الاعراب للاعلام ولا تستهم عن شوارد اللغة !

وكان يراد وقتا بالعراقين قطرنا العزيز وعراق فارس . ويظهر ان هذا الاسم بالتثنية بمعنى عراقنا وحده كان معروفا في فارس حتى القرن الرابع من

القرن السابع عشر اذا صح ما قاله اورئاليوس في رحلته (١) التي جاء فيها في ص ٣٦٠ « ... والمتعارف ان «عراق اثوز» يسمى « العراقين » . وجاء في « اوليا جلبي سياحة نامه سي » المطبوع في الاستانة سنة ١٢١٥هـ المجلد ٤٠٧.٤ ما قوله في الخطبة التي قرئت بين يدي السلطان مراد الرابع بعد فتحه بغداد سنة ١٠٤٨ مولانا خادم الحرمين الشريفين ومولانا ملوك (كذا بمعنى ملك او ان الاصل هو ملك ملوك فنسي المرتب الكلمة الاولى) العرب والعراقين .

سألت الاعراب في المنتفق عما يقصدونه بالعراقين الواردة في لقب ابن قشعم فجاء تعريفهم مطابقا لسقي الفرات الذي ذكرته وهو الذي يعرفونه بالعراق وعللوا التثنية باحتمال قسمة ذلك السقي الى شمالي وجنوبي او الى شرقي وغربي ولكني لا اظن بصحة قولهم هذا وللاعراب ايضا حدس آخر هو ان العراقين هما ذاك السقي وما فوقه الى حد يجهلونه فلم يوقفونا على سبب التسمية وفاتهم المعرفة بان البصرة كانت احد هذا العراقين في عهد بعيد جدا .

ويمكن لبعضهم ان يعللوا سبب تلقيب ابن قشعم بشيخ العراقين توسعا يوم كانت فارس مستولية على العراق وعلى وجه آخر انه اريد بهذا اللقب انه شيخ بربة الكوفة والبصرة لواقعة لعلها حدثت في انحاء البصرة كان له فيها الظفر والغلبة ؛ قلت لعلها لاني لااقبل ما قاله في غاية المرام من امر مانع وابنه محمد وسعدون ابن الاخير منهما الذين عرفهم بانهم امراء آل قشعم اذ ان الصحيح انهم شيوخ المنتفق بلاشك ولاشبهة . اوان غزية (بفتح الغين وكسر الزاي وتشديد الياء المفتوحة وفي الاخر هاء) وهم آل رفيع (بضم الراء وفتح الفاء) وآل حميد (بضم الحاء وفتح الميم) وساعدة (بكسر العين) وآل بعيج (بالتصغير) وغيرهم اتفقوا عليه ذلك اللقب الضخم لما كان لابن قشعم من السلطة والنفوذ ولاسيما على ضفتي الفرات وبالاخص على الغربية منهما حسبما روته كتب التاريخ العربية والتركية والفارسية .

ولقد بقي على الفرات لهذا البيت رسم من تلك الايام الغابرة حفظته النسية

(١) الترجمة الفرنسية طبعة باريس سنة ١٦٦٦م

Relation du voyage d'Adam Oréalius en Moscovie, Tartarie et Perse...Nouvelle éd, Paris 1666.

للارض الزراعية المسماة «المهناوية» الواقعة في لواء الحلة وهي مربوطة بقضاء مركزه . وعنانة (كنسابة) الواقعة هنالك كانت لهم ايضا .

نسب لي عقاب ابن قشعم شيخهم الحالي نفسه وهو في اول الشيخوختين العمر فقال : انا عقاب بن صقر بن ثويني بن عبدالعزيز بن حبيب بن صقر بن حمود بن كنعان بن ناصر بن مهنا بن سعد بن غزي (بكسر الغين كسرا غير واضح وزاي مشددة مكسورة) الذي نزح من نجد الى ديار العراق ، وبين من عدد اباءه الذين ذكرهم ان قدوم حمولته الى العراق كانت حوالي منتصف القرن السادس عشر . واول ذكر عرفته عنهم لا يتعدى العقد الثاني من القرن الحادي عشر للهجرة (١٦٠٢ــ١٦١١م) كما روى لنا ذلك كشكن خلفا بالتركية (مؤلفه نظمي زاده مرتضى افندي من رجال القرن الثاني عشر للهجرة) وغيره من الكتب.

واذ جرني الكلام الى تدوين نسب عقاب فاسترسلت في الموضوع فلا بأس من ايراد كلام عن بعض اجداد عقاب.

ان لناصر المهنا ذكرا بينا في كتب التاريخ الثلاثة ولاسيما في كتاب عالم آراي عباسي لاسكندر بك تركمان من رجال القرن الحادي عشر وهو مطبوع في طهران سنة ١٣١٤ (١٨٩٦م)

وذكره من الاوربيين تكسيرا فنعته «بملك عربي» في رحلته المترجمة الى الانكليزية في ص٥٣ The Travels of Pedro Teixeira... London 1902

فقال «ان هذه البلدة (مشهد الحسين اي كربلا) ومشهد علي (النجف الاشرف هما تابعتان لمير (الامير) ناصر وهو ملك عربي راند للاتراك يعيش في اعالي تلك الاراضي» اه

وقال في ص٧٢ بتاريخ ١٣ كانون الاول سنة ١٦٠٤ (١٠١٣هـ) «وبعد ان سرنا فرسخا ونصف فرسخ حططنا لندفع الرسوم التي يجب دفعها الى المير ناصر وهو ملك عربي من عشيرة ابن امانة Emana وهو حاكم مشهد علي ومشهد الحسين» وما امانة إلا تشويه «مهنا» اذ يصعب على بعض الافرنج ان يضبط الاعلام وهي غريبة عنه .

وذكر ناصرا ايضا ديلا ڤالهDella Valle في رحلته الشهيرة (١٦١٦ــ

١٦٢٥) في عدة مواضع جاء فيها في سنة ١٦١٦م (١٠٢٥هـ) ما تعريبه من رسالته السابعة عشرة المؤرخة في ١٠ كانون الاول سنة ١٦١٦م (١) « فبتنا في بئر النص (اي بئر النصف بين بغداد والحلة)... وبعد مرورنا بيومين نهبت قافلة هناك او بمقربة من ذلك المكان . نهبتها جماعة قوية من الاعراب . اما انا فلحسن حظي — فضلا عن اني لم ار احدا من هؤلاء — لقيت احد كبار قواد بغداد كان قدم الى هنا قبلي بامر من الباشا ومعه نيف ومائتا فارس ليستميل شيخا ويصحبه الى بغداد وهذا الشيخ هو قائد من قواد الاعراب — وان شئت فقل اميرا من امرائهم واني لاظنه اميرا لانه من عداد الذين يهجون الاتراك في النفع . والغرض من طلب مجيئه الى بغداد هو حشد القوى فيها للشروع بعدئذ بمحاربة مالك فارس وقد كثر قلقه بغداد من فرسانه زيادة في تعظيم هذا الشيخ .

وكان يسمى هذا الشيخ او الامير ناصر بن مهنا لانه ابن مهنا او انه من ذريته ... » اه

وذكر المؤرخ اسكندربك وديلا قاله ان لناصر ابنا اسمه ابوطالب: وقال ديلا قاله إنه كان قد قام مقام ابيه المتقدم في السن .

قال روسو قنصل فرنسة في بغداد في رحلته ١٨٠٨م من بغداد الى حلب

Voyage de Bagdad à Alep par J. B. Louis Jacques Rousseau 1808, Paris 1899.

في ص ١٣٦ ما تعريبه

«فمررنا بجبة على الفرات... فرأينا على الضفة المقابلة جبل اردي (Erdi?) وعلى منتهاه شيء كالقبة قيل لي انه قبر ناصر المهنا بن جشعم . ويعتقد الاعراب انه من اصحاب الكرامات» اه . ولا تزال ذكرى ناصر على السنة الاعراب تلهج بمدحه والثناء على اخلاقه ورفعة مقامه .

وذكر كنعان كتاب غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام (مخطوط) لياسين بن خير الله العمري وكانت ولادة المؤلف سنة ١١٥٨ (١٧٤٥م) قال فيه « وفي سنة ١٠٧٥هـ (١٦٦٤م) عين السلطان لفتح مدينة اللحسا [الاحساء] الامير دعبي اغا وكنعان امير قشعم فساروا [كذا اي فساروا] الى اللحسا فقاتلوهم [كذا]

(١) الترجمة الفرنسية طبعة باريس سنة ١٦٧٠م ص ٥٣

بني [كذا] خالد ثم هرب اميرهم براق » اه [واظنها براك بفتح الباء وتشديد الراء وكاف عربية في الاخر وهذا الاسم من اسماء الاعراب ولا اعرف لهم براق بقاف].

وجاء في هذا المخطوط ماقوله عن صقر الاول . والحرب سجال «وفي سنة خمسين [بعد المائة والالف] سار [الوالي احمد باشا] من بغداد بالعساكر وحارب عرب قشعم فهرب اميرهم صقر وغنم عسكر بغداد وحما [كذا اي حمى] احمد باشا بيت صقر من النهب ثم صالحه وعفو [كذا] عنه ومدح احمد باشا احد الفضلاء السيد عبدالله فخر [فخري] زاده بقصيدة طنانة منها قوله :

عقاب الوغى لما بدا طار صقرهم لدى حيث القت رحلها ام قشعم

وردت هذه القصيدة وابياتها ثلاثة وعشرون في حديقة الزوراء للشيخ عبدالرحمن بن الشيخ عبدالله السويدي (مخطوط) اقول هذا عن مختصرها المخطوط ايضا للاديب سليمان آل دخيل قائم مقام الجبايش في لواء المنتفق في وقتنا الحاضر وهذه النسخة موجودة في خزانة الاباء الكرمليين في بغداد . وقد نقل هذا المختصر ثلاثة ابيات من القصيدة جاء منها البيتان الاولان في مجلة المشرق ١٦ [١٩١٣] ١٧٢ بوصفها ديوان الناظم «فخري زاده» .

والصحيح ان هذه الواقعة كانت سنة ١١٥٢هـ (١٧٣٩م) على ما ضبطها الشيخ عبدالله السويدي في آخر بيت من قصيدة له امتدح بها الوالي احمد باشا على ماجاء في مختصر حديقة الزوراء . قال الناظم ابو مؤلف الحديقة :

ان يضق رحب الصحارى ارخوا هل لصقر في صحارى الهول وكر

١١٥٢ هـ

وما يؤيد صحة ورود هذه السنة رواية دوحة الوزراء واظن ان مؤلفها قد نقل عن السويدي على ما يبين من عبارات ساقها المؤلف في مقدمة كتابه .

اتفق مختصر حديقة الزوراء ودوحة الوزراء على تعيين السنة لكنهما اختلفا على صقر اختلافا طفيفا اذ قال المختصر «صقر المسمى سعدا» وقالت الدوحة عن صقر «عم الشيخ» واما غاية المرام فانه اكتفى بقوله «صقر» ولم يزد ويمكن تعليل قول المختصر «صقر المسمى سعداً» باحد الوجهين فاما لكون صقراً

من احفاد سعد بن غزي او لانهم ارادوا بذلك الكناية عن الصقر الذي يقال له « طير السعد » .

ولم يهمل التاريخ عبدالعزيز وشبيب ابني حبيب فان علي باشا كتخدا والي بغداد غزا آل قشعم في سنة ١٢١٤هـ (١٧٩٩م) وكان كل من عبدالعزيز وشبيب شيخا على فريق منهم فلم ينل مرامه فاضطر الى الاستمالة والباس الخلع ثم عاد الى بغداد (١)

هذا قليل من كثير مع ما توسعت في المقال . ونرى ان آل قشعم عشيرة حافلة الذكر فيها العرب الاقحاح من جهة الوالدين وفيها انسال عبيدها المتشممين ترعى ابلها في لواء المنتفق على الغالب ولم تبق عليها مسحة مما مضى ولقد مسختها العوادي مسخا .

يعقوب نعوم سركيس

اصل علامة الاستفهام عند الافرنج

وعلامة الحنف عند الاسبانيين

Origine du signe ? dans l'interrogation.

الافرنج يستعملون في آخر عبارتهم الدالة على الاستفهام هذه العلامة ؟ فما اصلها ؟

الذي عندنا انها حرف «س» العربي منكوس الوضع ، وهو مقطوع من كلمة «استفهام» كانهم يشيرون الى ان العبارة هي عبارة سؤال لا عبارة اخبار وكان كتاب العرب يتفننون في وضع علامات على الحروف او تحتها او بعدها للاشارة الى ما يريدونه من الملاحظات التي تبدو لهم في اثناء المطالعة .

والاسبانيون يستعملون المدة اي هذه العلامة ~ فيضعونها فوق بعض الحروف للاشارة الى حذف هناك فيكتبون مثلا Doña للاشارة الى انها مقطوعة من Domina وهذه الاشارة هي في الاصل ميم عربية اي مر وتعني «محذوف» اذا وضعت على غير الالف اما اذا وضعت على الالف فمعناها « ممدود » فهذه من مفعول مصطلحات كتابنا على كتابهم ونحن لا ندري ذلك كما هم لا يريدون ان يعرفوا هاتين الحقيقتين !

١) دوحة الوزراء ومختصر مطالع السعود